الوثيقة

تصدر عن
مركز الوثائق التاريخية
بدولة البحرين
العدد العاشر، السنة الخامسة
جمادى الأولى ١٤٠٧هـ، يناير ١٩٨٧م

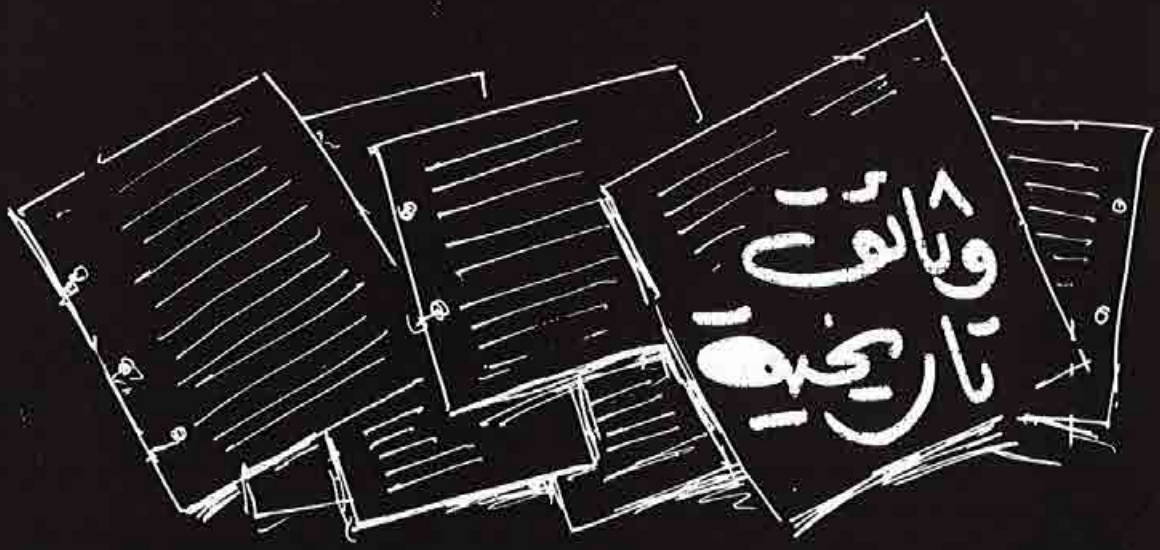

عهد صيد اللؤلؤ في البحرين

الدكتور على ابا حسين وب. ك. ناراين

لقد حفظت سجلات التاريخ القديم عن سكان البحرين ارتباطهم بصيد اللؤلؤ في المناطق المجاورة لجزر البحرين ، وظل هذا الارتباط دون توقف حتى العصر الحديث ، ونستدل على ذلك من لوحة حجرية وجدت في آثار مدينة (اور) السومرية في بلاد الرافدين والتي تعود الى الفي عام ونيف قبل الميلاد ، هذه اللوحة من أقدم الوثائق التاريخية التي تم العثور عليها ان لم تكن أقدمها وهي محفوظة في المتحف البريطاني ، وفي مركز الوثائق التاريخية في البحرين صورتها وبالبحث صورة لها وفيها ان (اور) استوردت بعض السلع كالنحاس والأخشاب واللؤلؤ عن طريق

دلمون وهذا يدل على التبادل التجاري بين دلمون (البحرين الحالية) ومدينة (اور) السومرية وشهرة دلمون بتصدير اللؤلؤ اليها . كما عثر على ثمانية الواح حجرية من معبد نينكال من عصر سلالة أور الثالثة تخص تجارة دلمون ومن تلك السلع اللؤلؤ . وفي الاسطورة السومرية (ان اوتونابشتم) بطل الطوفان السومري أراد الخلود مما جعله يسكن (دلمون) الارض التي يصطفيها الجميع . وربما تكون نبتة الخلود التي أخبر اوتونابشتم (جلجامش) عنها عندما قابله في مقره هي (اللؤلؤ)[1] . وورد ذكر صيد اللؤلؤ على طول الشاطىء العربي للخليج في أيام

المقدونيين ، وتؤكد المصادر اليونانية ان أكثر ما يقع من مصائد اللؤلؤ قرب السواحل الرملية المحيطة بجزر البحرين وكان للاغريق والرومان علاقات تجارية مع البحرين وخاصة في عهد الاسكندر المقدوني فقد خصص بطلميوس فصلا عن مصائد اللؤلؤ في (تايلوس) وتايلوس هو الاسم الذي أطلقه الرومان على جزيرة البحرين الأم . وعند (بليني) الذى عاش في ٣٢٥ق.م ان جزيرة تايلوس الواقعة مقابل الجرها (العقير) تشتهر بلآلئها وان في تايلوس مدينة تحمل نفس اسمها[٢] .

ورغم ندرة ما كتبه الغربيون القدامى عن صيد اللؤلؤ في الخليج العربي الا ان الرحالة والجغرافيين والذين كتبوا عن الاحجار والجواهر من العرب وما أورده الشعراء في العصر الجاهلي والأموي في شعرهم يلقى الضوء على هذه الصناعة وتعتبر كتبهم وثائق تاريخية من شهود عيان فهم يصفون ما يرونه ويتحدثون عن صلات البحرين بالممالك المعاصرة وتفاصيل أرخبيل البحرين جغرافيا واقتصاديا بالاضافة الى صيد اللؤلؤ حول جزر البحرين ، وقلما تجد كتابا لديهم يتحدث عن اللؤلؤ في الخليج العربي دون ذكر البحرين خاصة وان اسم البحرين في عهدهم كان يطلق على الرصيف الساحلي الشرقي من جزيرة العرب بما فيه جزيرة أوال والجزر المحيطة بها وكانوا يذكرون اسم البحرين مقرونا بذكر اللؤلؤ ، وان الذي يقرأ في كتب هؤلاء الرحالة يجد ان من يحكم البحرين كانت له السيطرة على مناطق صيد اللؤلؤ حول جزر البحرين ، فقد ذكر الخطيب البغدادي المتوفي (٤٦٣هـ) ان هارون الرشيد ولي أحد كبار قادته وهو (المعلى) ولاه على اقليم واسع في الخليج العربي ومنه البحرين والغوص ثم جمعت هذه الاعمال لمحمد بن سليمان بن على بن عبدالله العباس بن عبدالمطلب ثم لغيره . وقد يكون مسئولا عن دفع اتاوة أو ضريبة الى حاكم آخر كما فعل والى البحرين في سنة ٦٢٨هـ وهو الفضل بن على العيوني الذي دفع ضريبة الى الاتابك ابي بكر سعد بن زنكي السلغري بعد ان دفعها سلفه الى حاكم (قيس) قبله[٣].

اللوحة الحجرية التي عثر عليها في «اور»

وأشار المقدسي (ت : ٣٨٠هـ) الى البحرين وشواطئها وصيد اللؤلؤ فيها .

أما ناصر خسرو الذى حج عام ٤٤٣هـ فوصف البحرين اثر عودته من الحج وصف نخيلها واستخراج اللؤلؤ من بحرها وذلك ايام العيونيين الذين كانوا يأخذون نصف ما يستخرجه الغواصون منه[٤] .

وحين وصف الشريف الادريسى (ت : ٥٦٠هـ) جزيرة أوال قال : ان اوال حاضرة البحرين وهي مدينة عامرة وان جزيرة أوال وساير ما بين بلاد البحرين وعمان تسكنها العرب وفي جزيرة أوال أمير قائم بنفسه وقد رضيه أهل الساحلين لعدله ومتانة دينه وفيها رؤساء الغواصين ساكنون بهذه المدينة والتجار يقصدون اليها من جميع الاقطار بالأموال الكثيرة ويقيمون بها الاشهر الكثيرة حتى يكون وقت الغوص في شهر اغسطس وسبتنبر (سبتمبر) وكانوا يخرجون من المدينة في ازيد من مايتي دونح والدونح أكبر من الزورق . فاذا خرج الغواصون عن اوال تقدمهم الدليل والغواصون خلفه في مراكبهم صفوفا لا تتعدى جريه ولا تخرج عن طريقه حتى اذا فرغوا من الغوص انصرفوا

الى جزيرة أوال في ما جمعوا من اللؤلؤ وقد وضعوها في صرر مكتوب على كل صرة اسم صاحبها فاذا نزلوا أوال اخذت تلك الصرر من التجار وصارت في قبض والي البحرين وفي ذمته لبيعها في موضع البيع أمام التجار فيقبض كل تاجر ماله وينصرف الناس ليعودوا الى هناك في العام القابل وهكذا ابدا ويرسل الوالي النفيس من اللؤلؤ الى أمير المؤمنين الخليفة العباسي(٥) .

كما ذكر الرحالة ابن بطوطة (ت : ٧٧٩هـ) والذي زار البحرين فوصف عملية الغوص وقال : ان ضريبة يدفعها الغواصون الى والي البحرين تقدر بالخمس .

ووصف الملاح (أحمد بن ماجد) في كتابه (الفوائد) عام ٨٩٣هـ جزيرة البحرين فقال : وتسمى أوال وحواليها معادن اللؤلؤ وعدة جزر (حولها) كلها معادن اللؤلؤ ويأوى عليها قريب الف مركب وفيها جملة قبائل من العرب وجملة تجار وهي في تاريخ هذا الكتاب لاجود بن زامل بن حسين العامري الجبرى (ملك البحرين)(٦) .

وقد تعرضت البحرين الى عدوان أجنبي في مستهل القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي وهو الاحتلال البرتغالي واهم سبب لهذا الاحتلال كان غنى البحرين الاقتصادي وخاصة في اللؤلؤ بدليل ما أوردته الرسائل المتبادلة بين القائد البرتغالي افونسو دالبوكيرك مع ملك البرتغال فقد كتب اليه رسالة مؤرخة في ٢٠ اكتوبر ١٥١٤م/ ٩٢٠هـ يعرض عليه انه يريد احتلال البحرين لانها منطقة غنية حيث يكثر فيها اللؤلؤ ويستطرد القائد البوكيرك بقوله : ان في مياه (باريم) ـ كما يطلق عليها البرتغاليون ـ بذور اللآلىء واللآلىء نفسها وانها ترسل الى اقاليمنا ويعني بذلك الى هرمز وجوا في الهند وهي احسن جودة ومتانة من التي توجد في أماكن اخرى من هذه المنطقة . وان لؤلؤة البحرين من النوع الممتاز ويتولى تجار من البحرين ادارة عمليات الغوص على اللؤلؤ ويبيعونه مما يكسبهم أرباحا طائلة وختم البوكيرك قوله : ان البحرين جوهرة لا يمكن تركها في أيدي المسلمين(٧) .

لقد اقنع القائد البوكيرك ملك البرتغال فأرسل أربع سفن للاستطلاع بقيادة ابن عمه (بيرو) ثم تبعه افونسو دالبوكيرك نفسه وكان في البحرين مندوب برتغالي للملك البرتغالي يسكن في البحرين لغرض صيد اللؤلؤ . ثم أرسل افونسو

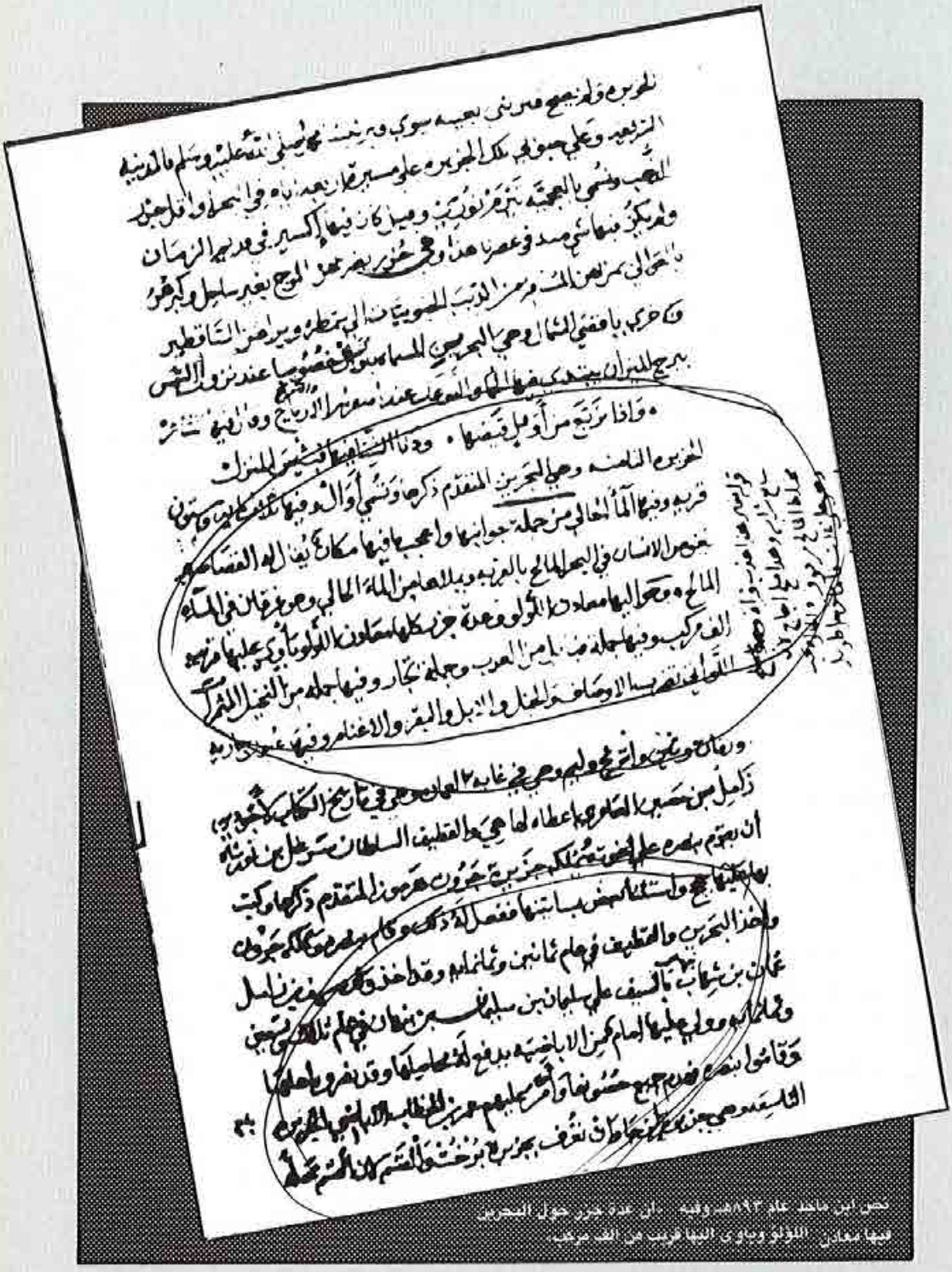

نص ابن ماجد عام ٨٩٣هـ وفيه ... ان عدد جزر حول البحرين فيها معادن اللؤلؤ وياوى اليها قريب من الف مركب.

دالبوكيرك القائد (انطونيو كوريا) (١٥٢١م/٩٢٨هـ) فاحتل البحرين وبقيت تحت النفوذ البرتغالي حتى ١٦٠٢م/١٠١١هـ وحاولوا استعادتها حتى ١٦٢٢م/ ١٠٣٢هـ الا ان مقاومة اهلها حالت دون ذلك ثم عقد معاهدة يائسة سنة ١٦٢٥م مع الشاه عباس تنازلت فيها البرتغال عن كافة الاقاليم الساحلية ما عدا شواطىء البحرين التي كانت غنية باللآلىء[٨] . وقد كتب الرحالة البرتغالي (بيدرو تكسيرا) في أسفاره التي بدأت في ٩ فبراير ١٦٠٤م من (جوا) الى هرمز ومنها الى البصرة مارا بالبحرين فقال : تشتهر جزيرة البحرين بلآلئها كما وكيفا وهذا موضوع أذكره باختصار لأنه معروف عامة . توجد في الشرق مغاصتان كبيرتان احداهما في البحرين في الخليج وثانيتهما في مانار بالقرب من سيلان .

ويبتدىء موسم صيد اللؤلؤ في البحرين في شهر يونيو أو في يوليو عادة ويستمر الى أغسطس ويتكون الاسطول من ٢٠٠ سفينة (من نوع طرادة) ١٠٠ منها للبحرين و٥٠ لجلفار و٥٠ من نخيلو ، وتمتاز (لآلىء البحرين) وتفوق جميع الأنواع الأخرى من حيث المواصفات والوزن . اذا قارنا لؤلؤتين احداهما بحرينية وثانيتهما أخرى من نفس الحجم فتتفوق لؤلؤة البحرين وزنا . ان قيمة تجارة اللؤلؤ سنويا في اللآلىء الصغيرة والعادية تبلغ ٥٠,٠٠٠ دوكات دون ان نأخذ في الاعتبار قيمة اللآلىء المهربة وهي حوالى ١٠٠,٠٠٠ دوكات لان التهريب يتم خوفا من اغتصاب المندوب البرتغالي في البحرين ، وتستخدم معدلات القيراط أو قيلات أو عبس (٣ عبسات تساوي قيراطا واحدا) ومثقال (ويساوي المثقال ٢٤ قيراطا أو ٧٣ جراما تقريبا) . ويتم تصنيف اللآلىء الصغيرة على أساس ٢٠ أو ٣٠ أو ٤٠ لكل مثقال . يغوص الغواصون البحرينيون الى عمق ١٢ أو ١٥ غورا (والغور) يساوي عمق ٦ أقدام وأشار المحقق في الهامش قوله : وتمتد (جزيرة البحرين) الى ٣٠ ميلا طولا و٩ أميال عرضا وطبقا لتقرير ورد من الهند يمتد موسم الصيد من يونيو الى اكتوبر وان شواطىء البحرين تجرى الى ٤ أو ٥ أغوار أي ما بين ٢٤ ـ ٣٠ قدما وانها من أغنى السواحل ومؤكدة من حيث الانتاج .

ويستطرد بقوله : ويستخدم في الخليج حوالى ٤,٥٠٠ سفينة و٣٠,٠٠٠ عامل في موسم الصيد